

دعوة تبعث أمجاد الأمة

«هدف الإخوان المسلمون منذ نشأتهم إلى أن يجددوا لهذه الأمة بشبابها، وبعثوا إليها مجدها، ويخلقوا روحاً جديداً في الجيل الجديد على أسس الإسلام، والإسلام كما عرفوه وآمنوا به نظام شامل لمختلف نواحي المجتمع، وبرنامج كامل يبني الأمة على أقوم الدعائم، وأرقى المبادئ، وأروع المثل، كما يكفل لجميع عناصر الأديان حياة هانئة تحت ظلال العدالة والإخاء والمساواة، فهو كافل للحريات، وحامي الأقليات، ومحقق الإنصاف بين مختلف الطبقات.»

المصدر: بيان من الإخوان المسلمين إلى شعب وادي النيل، نشر بجريدة الإخوان المسلمين، العدد 89، بتاريخ 7 ربيع أول 1365 هـ - 9 فبراير 1946 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ومضات على طريق الدعوة

من تجاربنا التربوية والدعوية

في التعامل مع الأزمات

القراءة العلمية النزيهة الدقيقة لموازين القوى



أيضا من الأشياء التي غفلنا عنها

إن الحال في صراعنا اللاحم الطويل لا يحتاج إلى الفتوى الشرعية فحسب إنما إلى القراءة العلمية النزيهة الدقيقة لموازين

القوى في الصراع

لأن القراءة العلمية النزيهة سوف تجعل النتائج مغايرة عن الفتوى الشرعية؛ ولذلك كان دائما يقول حول استخدام القوة أو أصناف منها في مواجهة أنظمة عاتية مدربة - وهي الأكثر شيوعا وانتشارا وإغراء بالاستخدام - واستخدام القوة وأصناف منها: عندما تواجه الجماعات أنظمة عاتية مدربة تضايقها فتضيق بالإذلال والهوان فتتفكر في فتح الأبواب المؤصدة ببردود فعل عنيفة. تسويغ ذلك لا يحتاج إلى فتوى شرعية فحسب، إنما قراءة علمية نزيهة أو دقيقة في موازين القوى، فالنتائج ستكون مغايرة لأنه لا بد من أسئلة ملحة ضرورة الإجابة عنها حصرت في عشرة أسئلة حول:

ومدى رغبة الأمة في الثأر لكرامتها وعزتها،

ومدى الجرأة لمواجهة ذلك أو إتمامه،

ومدى القدرة على احتمال نتائجه وآثاره،

ومدى الدعم المحلي للمشروع الإسلامي البديل،

ومدى القبول الإقليمي لذلك المشروع رجالا وخيارات،

ومدى التراضي الدولي ليدعك تمر أو تعبر،

ثم مدى التحالف مع حلفاء محتملين،

ومدى التشارك مع شركاء فاعلين حول السلطة

ومدى تهافتها أو تماسكها،

وحول الجيش ومدى ولاءه أو انتمائه أو حذره وتربصه،

. الإجابة عن هذه الأسئلة يستطيع أن يوضح لنا رؤية نستطيع أن نتحرك من خلالها.

الدعم المحلي، القبول الإقليمي، التراضي الدولي، رغبة الأمة، جرأة الأمة، قدرة الأمة، التحالف مع حلفاء محتملين، والتشارك مع شركاء محتملين، (الاستراتيجيات القريبة طبعا غير الاستراتيجيات البعيدة) ثم مدى قوة الحكومة بتماسكها أو تهافتها، وكذلك الجيش بمدى تربصه وولائه أو حذره وانتمائه،

ثم اللحظات المحبطة وهي الأنسب للمبادرات الشجاعة، في اللحظات المحبطة التي قد نواجهها في طريقنا اللاحم الطويل في مواجهة أنظمة عاتية مدربة، لذلك كان الإمام البنا يقول إنها الأنسب للمبادرات الشجاعة؛ لأن الكل يبحث فيها عن مخرج، فإذا

طرحت ما عندك من خيارات يستطيع أن يقبله الجميع عندما نحصر مواطن الخلاف، ولذلك الأستاذ الإمام البنا دائما يقول: الظروف المواتية لا تأتي أبدا فوفروا الفرص، كانت هذه طريقته.

من أشهر الظروف التي أحاطت به والتي واجهها أثناء الحرب العالمية الثانية عندما اتجه الانجليز للدفاع عن الحدود المصرية من الناحية الغربية، وأرسلوا الجيش المصري إلى الحدود الجنوبية للسودان خوفا من أن يأتي النازي من الجنوب من ناحيه الحبشة - وكانت إيطاليا محتلاها- فالأستاذ الإمام البنا وجد أنها فرصة سانحة رغم أنها لحظة محبطة لكن وجد أن الظروف مواتية فانتهاز هذه الفرصة . كلم على ماهر باشا وكان رئيس الوزراء في ذلك الوقت، ومعه محمد محمود باشا كان رئيس الديوان في ذلك الوقت، وصالح حرب باشا كان وزير الحربية، وعزيز باشا المصري كان قائد الجيش، قال لهم ارفعوا لجلالة الملك أن الشعب معرض للخطر والإبادة، الانجليز مشغولون بالحدود الغربية ويهزمون هزائم منكرة على أيدي المحور، والجنوب فيه الجيش المصري وهو باهت هزيل ممكن يعصف به، الشعب سيكون في مواجهة المستعمر الجديد أو القادم الجديد دون أن يدفع عن نفسه فاطلبوا من جلاله الملك أن يسمح لنا بأن نمحو الأمية العسكرية من بين شعوبنا وأنه يسلم الشعب المصري بثلاثين ألف قطعة سلاح متوسط ليدافع عن نفسه، فراقت لهم الفكرة على باشا ماهر باشا ومحمد محمود باشا وعزيز باشا المصري وصالح حرب باشا وقالوا نرفع لجلالة الملك . حماية شعبه ووطنه . رفعوها له ووافق عليها كلها وقبلها ولذلك كثيرا ما كان الأستاذ الإمام البنا في صراعه حتى مع الملك كان يخوضه بحسابات غير حساباتنا

ودائما ما كان يقول: ليست في كل الظروف مخاصمة الحاكم وإحراجه من الإسلام فقد يقف الحاكم أمام عدو قوى للمسلمين يدفعه ويحول دون غايته فمن الحمق وليس من الدين أن يجرجه المسلمون وهو يحول بين وصول عدوهم إلى غايته منهم حين سأله: ما نظرتك له؟

قال: هو حاكم شرعي والجالس على العرش احترامه وولأوه فريضة علينا

لأنه كان يريد أن يحفظ وطنه ويصلحه ويصطلح عليه بدلا من أن يقف منه هذا الموقف المبيت كما كان يقول، أريد ان أصلحه وأصطلح عليه بدلا من أن أقف منه هذا الموقف المبيت، كان من كلمات الإمام: لأن الإسلام يكره زعزعه النظام ومخالفة الحكام بالحق والباطل مما تضيع معه هيبة الحكومة وتعطل الأعمال

قال أنا لا أريد ذلك، أنا أريد وطننا فيه حكومة وأعرف كيف أتعامل معها، وإلا تضيع الأوطان وإذا ضاعت فلن تعود وتذبح الأمم وإذا ذبحت فلن ترجع، ولذلك كانت له نظرة في التعامل مع الملك مختلفة عن غيره ممن سبقه من الزعماء والمصلحين معتمدا فيها على قاعدة شرعية كما قال: ليست في كل الظروف مخاصمة الحاكم وإحراجه من الإسلام فقد يقف الحاكم أمام عدو قوى يدفعه ويحول دون غايته منهم،

قد يكون الدافع في ذلك أي شيء آخر غير الإسلام مثلا (شعبيته، تاريخه، وطنيته، أمجاده الخاصة، أي شيء دافع) لا يعنيني . لن أقف ضده وأواجهه وهو يحول بين وصول عدوهم إلى غايته منهم، لن أفعل ذلك لأن زعزعة النظام ومخالفة الحكام بالحق والباطل (يعنى نضل في الشوارع والميادين باستمرار) مما يكره الإسلام فتضيع معه هيبة الحكومة وتعطل الأعمال، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرجل كان صاحب عقلية واسعة فعلا . (كفاية عالية) يعرف كيف يدير صراعا هائلا مع عدو لا تنتهي غاراته، ولذلك كثيرا ما كان يقول: حاجه الدعوات إلى الانتصار ليس إلى جهود من رسلها ودعاتها فحسب؛ ولكن إلى كفاية عالية من الرسل ومن الدعاة كذلك

بذل الجهود والسخاء في الدماء وحده لا يكفي، لن يجدي نفعا ولن يحقق غاية؛ إنما سيؤدي إلى سفك للدماء دون ثمرة أو حسم وهو ما لا أريده، إنما انتصار الدعوات ليس في سخائها بدمائها وإنما في كفايتها العالية من الرسل والدعاة كذلك. الكفايات العالية هم من يجيدون إدارة هذه الدماء (دون كبو أو عثار أو ارتطام أو صراع) قالوا له: كفايات عالية في ماذا؟؟

ذكر عشرة أمور أهمها في توفير الفرص قال:

ترتيب الأولويات، وتعبئة الطاقات، وتصنيف الخصوم، وتقليل الأعداء، وكسب الأصدقاء، والاقتصاد في التضحيات، وتوزيع المهمات، واحترام التخصصات، والتبصر بالعواقب، وموازنة النتائج، إلى أن قال أهم شيء توفير الفرص لأن الظروف المواتية لن تأتي أبدا.

كانت هذه نظرته للملك ولذلك جاءت فترة من الفترات كان الملك يحترمه ويقدره . حين يسأل عنه يقول: إنه عدو عاقل والعقل فن واحد وطريقه أعرف فأرصد والجنون فنون، أستطيع التعامل مع عدوى شرط أن يكون عدوا عاقلا أعرف أوله وأعرف آخره وأتعامل معه.

فكثيرا ما كان يعلن تقديره واحترامه للرجل تقديرا لمكانته وعلمه لأنه شعر أنه حريص على وطنه وحريص على ملكه كذلك، سأله أحد الشباب في مؤتمر عام: ما تقول في فاروق؟! فقال: من فاروق؟! لم يعجبه طريقه السؤال.

ولذلك تأنى في الإجابة حتى ينبه السائل شاب من الشباب في مؤتمر عام في مؤتمرات الثلاثاء السؤال محرج ويحتاج إجابة على كفاية عالية وإلا يورط نفسه ويواجه ويصطدم ويتعثر بكلمة غير مسئولة يفقد معها جزء من أمته قد لا يعود إلا بعد حين لا يعلم مداه إلا الله؛ لأنه كان يعلم ذلك . الكلمات غير المسئولة نفقد معها جزء من أمتنا، ونحن نعرف الإعلام كيف التقط بعض الكلمات من إخواننا من المرشدين الذين مضوا إلى ربهم . التقطوها وفصلوها من سياقها وعرضوها على العامة (الأعيب السحرة) ظلت تعمل في نفوس الناس وفي عقولهم حين تقول كلمات غير مسئولة، رغم أن الكلمات هنا مسئولة وفي السياق.

ولذلك كان حريصا جدا، حذرا، يعلم أنه يقود صراعا أمام عدو لا تنتهي غاراته؛ فلذلك لما سأله الشاب وفي حديث الثلاثاء وهو يطرح موضوعا فيسأله السؤال العارض هذا ممكن يفقده توازنه واعتداله، لكنه كان دائما حاضر الذهن في سبيل دعوته، يعشقها كأنها حسناء لا يزاحمها شيء في قلبه.

فقال له: من فاروق؟! قال: الملك.

قال: الجالس على العرش؟! قال له: نعم.

قال: رضى الله عنه

فانتبه السائل إلى أن السؤال مزعج، ورضى الله عنه هذا دعاء له . نوع من التوفيق قال له: تقصده يعنى الملك قال نعم، قال رضى الله عنه . أنهى صراع ممكن كان يفتح عليه من عدو لا تنتهي غاراته في هذه اللحظة الصعبة، ولذلك كما قلنا كان الملك يعرف أن الرجل له وطنيته وله مشروعه والمشروع هذا ينفع الكل بما فيهم هو نفسه.

-كتب له يوما كتابا رفعه اليه يقول له فيه: إلى سدة الملك، أتدرى ماذا في مصر يا مولاي؟ شعب مسلم وملك غيور، إنه جم النشاط متوقد الذكاء (على هذا الشعب) لا يحتاج إلا إلى تشريع صالح (يعنى منهج) وإلى منقذ غيور، وإن لى فيك أملا محققا، فأنت الوطني الأول والمسلم الغيور .

حين تتصور الملك وهو يسمع هذا الكلام مقارنة بزعماء آخرين ومصلحين وشيوخ، لا شك أنه بينه وبين نفسه يرفع القبة وينحني أمامه يعرف أن معه خصما عاقلا.

حرص الإمام البنا على أن ينهى حلقات من النزاع والتصدع بينه وبين القصر، وبين السرايا في وقت كانت تمر به البلاد بظروف بالغة الصعوبة والحرج، لكن الرجل كان يعرف كيف يتفاهم معه، إنهم (هو يتكلم عن شعبه) أنه جم النشاط، خالد الذكر، لا يحتاج إلا إلى تشريع صالح (يعنى منهج مشروع يعنى) ومنقذ غيور وإن لى فيك أملا محققا فأنت الوطني الأول والمسلم الغيور . لذلك حين رفعوا للملك طلب الأستاذ الإمام البنا 30 ألف قطعة سلاح متوسط . انظر إلى دقة الرجل! موجود هذا الكلام في كتاب "أحداث صنعت التاريخ" محمود عبد الحليم، قطعه سلاح متوسط حتى يعرف الشعب يتسلح بها يدفع عن نفسه . قال: لأنني لا أريد أن أظل تحت رحمة من سواي أو أن يدافع عني من لا يدفع عن نفسه، الانجليز غير قادرين، كانوا يهزمون أمام المحور (روميل) هزائم منكرة جاؤوا من تونس إلى العلمين، هزائم منكرة، فقال: أنا لا أريد أن أقع تحت رحمة سواي فيدافع عني من لا يدفع عن نفسه، فأنا أريد 30 ألف قطعة سلاح متوسط نسلح بها الشعب ونرفع عنه الأمية العسكرية التي كانت معروفة في شعوبنا، الملك وافق، لكن طبعا رفع المطلب للإنجليز، فرفضوه.

ماذا فعل حسن البنا؟! (من اللحظات المحبطة أنسب للمبادرات الشجاعة!)

خرج من هذا الاجتماع الذي كان فيه رئيس الوزراء ورئيس الديوان ووزير الحربية وقائد الجيش شكل النظام الخاص . هذا الحدث كان سنة 41، أتى هو للنظام الخاص 30 ألف قطعة سلاح من السلاح المتوسط لكن من أجل ماذا؟ أن يدافع عن شعبه وقضايا أمته ووطنه، ولذلك كان كثيرا ما يقول: سوف أدخر قوتي للوطن وأناى بنفسى وبدعوتي أن أكون أداة صراع داخلي، سوف أدخر قوتي للوطن ولخدمة قضايا أمتى الكبرى

ولذلك كما يقولون المرحلة أحيانا تتطلب العنف والأمة تتفهمه لأن هذه اللحظة كانت مناسبة لذلك، بالعكس لو لم تقم بذلك الناس تروى النظر عنك، ولذلك حين كون النظام الخاص أتى 30 ألف قطعة سلاح، ومن الذي أتى له بها؟ إنه محمد محمود باشا . لأن الرجل كان وطنيا معروفا بوطنيته، وكان مديرا سابقا لمديرية البحيرة التي يتبعها عرب الصحراء الغربية وكان أثناء الحرب بين الطليان والليبيين (المختار ورجاله) كان يرسل لهم السلاح لمقاومة المحتل الإيطالي، محمد محمود باشا رجل وطني، له تاريخه، والبنا يعرفه ويعرف هذا التاريخ، ويتعامل معه على هذا الأساس، وعرف هذه العائلة كانت عائلة وطنية، حتى أبوه سليمان باشا محمود كان معروفا بوطنيته أيضا رغم أنه كان من كبار الأعيان والإقطاعيين ولذلك الإنجليز عرفوا له قوة الشكيمة ودمائة الخلق والشخصية فطلبوا منه أن يكون هو الملك بعد الملك فؤاد . سليمان باشا محمود فرفض وقال: لن أكون لعبة في يد الإنجليز ولذلك كان محمد محمود باشا دائما يتيه على الزمان بموقف والده هذا ويقول: أنا ابن من عرض عليه العرش فأبى هو أبوه سليمان باشا، فالإمام البنا كان يتعامل مع الناس كان يعرف خفاياهم ويتعامل معهم على هذا الأساس، لا يضيع نفسه ولا يضيع أمته، إنه لا يضيع إمكاناته. لا يضعها في أيدي من لا يدفع عن نفسه؛ ولذلك حين كشف النظام الخاص سنة 48 كان ضمير مصر في قضاتها في ذلك الوقت أعطت براءات وقالوا: لنبل الهدف وشرف الغاية.

فضمير الأمة نفسها كما قال الإمام البنا . في مراحل تتطلب العنف وتتفهمه الأمة، فلذلك النظام الخاص هذا طبعاً صورة من صور العنف 30 ألف قطعة سلاح موجودة في البلد، في أيدي شباب هائج متحمس، كان من الممكن يحدث مشكلات كبيرة، لكن كانت المرحلة تتطلب والأمة تتفهم . دليل تفهم الأمة . القضاة . قضاة مصر حين انكشف النظام الخاص في القضية المشهورة السيارة الجيب حكموا براءات للجميع، والأحكام كانت ضئيلة جداً كانت أغلبها انتهى أثناء فترة التحقيق سنة وسنتين وخرج الجميع، كما يقولون كان حكماً تاريخياً، دل أنه عنوان الحقيقة . كما يقول الإخوان؟ القضاء المصري في ذلك الوقت يمثل ضمير الأمة كانت تفهمت هذا الموقف .

وهنا يتساءل البعض يقول: نكرر ذلك الآن؟!

لا طبعاً لأن أحيانا أسباب بقاء نظام هي نفسها أسباب زواله إذا اختلفت المقتضيات والظروف والأحوال هذه كانت أسباب بقاء الإخوان وكانت سبباً في نيل غايتهم وشرف مقصدهم؛ لكنها الآن تكون سبباً في ضياعهم ووكستهم مع أنها نفس الأسباب لكن أسباب بقاء نظام هي نفسها أسباب زواله كما كان يقول الأستاذ الإمام إذا اختلفت المقتضيات والظروف، لا نستطيع أن نفعل ذلك دائماً؟

قال: لأن استبقاء الزمن حيث لا يبقى إنما هو ضرب من تكليف الأيام ضد طباعها لا يمكن أن يتوقف الزمن عند سنة 41 الزمن يتغير ويتطور، والظروف والمقتضيات والأحوال والشخوص والهيئات والأوضاع العالمية كلها والمحلية والإقليمية وكله يتغير .

إن لم تتوفر الكفايات العالية لإدارة هذه الدماء ودفعة الصراع أمام عدو لا تنتهي غاياته تكون النتائج كارثية بامتياز

حفظ الله أمتنا ودعوتنا من كل سوء

واللهم قادتنا الرشيد والتوفيق والسداد